

آليات تحقق الانسجام النصي

Textual coherence mechanisms

سليمان بوراس*1

¹جامعة محمد بوضياف - المسيلة، الجزائر، slimane.bouras@univ-msila.dz

تاريخ الارسال: 2020/09/15 تاريخ القبول: 2021/08/22 تاريخ النشر: 2021/12/30

الملخص:

عرف النص من القدم عناية كبيرة لتحديد مفهومه، ولبيان نصيته وارتبط غالبا بالدراسات الدينية كما هو الحال في الدراسات العربية، فقد قدم العرب جهدا كبيرا لبيان نصية النص في خلال حديثهم عن علم المناسبة، ثم جاء المحدثون فقدموا جهودا أكثر دقة، وكانت هذه الجهود تصب في مجال الإجابة عن سؤال واحد، كيف تتحقق نصية النص، وكيف يسهم الانسجام في تحقيق هذه النصية، وتقاطعت الجهود العربية والغربية في أن تحدد المؤشرات التي تحدد انسجام النصوص التي من خلالها يحكم له بهذه النصية.

ونحاول هنا أن نقدم الآليات التي تحقق انسجام النص في شكل يتيح للباحث مجال الدخول إلى ميدان انسجام النصوص.

الكلمات المفتاحية : النص / الانسجام / مؤشرات / البنية الكلية .

Abstract

There was a great deal of interest in the text in order to define its concept. It was often associated with religious studies, as in the case of Arab studies. The Arabs made a great effort to explain the textuality of the text as they spoke about the appropriateness. The contemporaries then made a much more precise effort to answer one question. How the textuality of the text is achieved, how coherence contributes to the achievement of this textuality. Arab and Western efforts have intersected in identifying indicators that determine the coherence of the texts through which he is perceived by this textuality. Here we try to present the mechanisms that achieve the text's coherence in a form that allows the researcher to enter the field of textual coherence.

Keywords : Text/ Coherence/ Indicators/ the overall structure
Enter

الانسجام نظرة تاريخية

عني علماءنا الأولون عناية كبيرة بهذه القضية اللغوية، ومن الذين تناولوها عبد القاهر الجرجاني (471هـ) الذي كان متأثراً بجهود الباقلاني (403) المهتم أكثر بالإعجاز، وقد عمد الجرجاني إلى ربط العلاقة بين المكون النحوي والمكون الدلالي، ومن المهتمين أيضاً بذلك ابن رشد (595)، وحازم القرطاجني (684)، وكذلك الإمام الشاطبي (790)، كما كان لعلماء التفسير أثرهم في هذا الميدان ومنهم الزركشي والسيوطي (911) والطبري ومن علماء العصر الحديث سيد قطب و سعيد حوى .

جهود المدرسة الأنجلو أمريكية :

ترى معظم الدراسات أن الإرهاصات الأولى لهذا العلم إنما هي دراسات أمريكية بداية من ما كتبه هاريس (1952) ثم تطور هذا العلم مع بليت (1975) ودريسلور (1977)، وأخيراً ما كتبه هاليداي ورقية حسن في كتابهما الموسوم الاتساق في الانجليزية الصادر بلندن عام (1971)، ولعل من الجهود التي أعانت على ذلك جهود نعوم تشومسكي وما أحدثت من ثورة في الدراسات اللغوية، ومن المهتمين بهذا النوع من الدراسات الأمريكي روبرت دي بوجراند الأستاذ بجامعة فلوريدا والذي ألف كتابه المشهور النص والخطاب والإجراء الصادر عام (1980)، وفيه حدد المعايير التي تقاس بها نصية النص

جهود المدرسة الفرنكوفونية

جون ميشال أدام :

ألف جون ميشال أدام كتابين الأول حدد في الول مفهوم النصية وقد جاء الكتاب الثاني مرتبطاً بالأول ويهدف إلى مزيد من الدقة و التحديد بعد سنوات من البحث، وتتفق الدراسات اللغوية الحديثة على أهمية الجهود التي قدمها فان دايك⁽¹⁾، وأنه أسهم إسهامات كبيرة في ميدان الدراسة النصية خاصة ما تعلق منها بالانسجام فقد تجاوز

آليات تحقق الانسجام النصي

بجهوده ما قدمته المدرسة الانجلوسكسونية ، والمدرسة الفرنسية و من أهم أعماله في هذا الباب :

- النص والسياق 1977 - علم النص : مدخل متداخل الاختصاصات 1980

ومن أهم ما يمكن أن يلاحظ على جهود فان دايك أنه هدم الحواجز الفاصلة بين علم الأدب وعلم اللغة ثم كسر الحاجز الذي يفصل علم اللغة عن غيره من العلوم وقد هدف إلى النظر إلى النص من زاويتين .

الأولى : النظر إلى النص من الدخل

الثانية : النظر إلى النص من خلال العلاقة مع المتلقي

الانسجام لغة :

ورد في لسان العرب أن المادة (س ج م) تدل على عدة معان أهمها : سجم : سجمت العين الدمع والسحابة الماء تَسْجُمُهُ و تَسْجُمُهُ سَجْمًا و سَجُومًا وسَجْمَانًا : وهو قطران الدمع و سيلانه، قليلا أو كثيرا، وكذلك الساجم من المطر .

والعرب تقول دمع ساجم ، ودمع مسجوم : سجمته العين سَجْمًا²

والمتتبع للمادة اللغوية (سجم) يجد أنها ارتبطت بمفاهيم أهمها القطران و الانصباب والسيلان

اصطلاحا :

يعني فان دايك بالانسجام (الأبنية الدلالية المحورية الكبرى و هي أبنية عميقة تجريدية) و بخلاف ذلك بين أن الاتساق يتمثل في الأبنية النحوية الصغرى و هي أبنية تظهر على مستوى سطح النص⁽³⁾، ولعلنا من خلال هذا التعريف الصادر عن فان دايك يتبين لنا أنه يرى أن الاتساق أمر يتعلق بالجانب النحوي التركيبي في حين أن الانسجام يتعلق بالجانب الدلالي .

أما ديسلر :

2 ابن منظور لسان العرب مادة س ج م

3 - سعيد حسن بحيري علم لغة النص ص 132

سليمان بوراس

فإنه أطلق مصطلح التماسك النصي على الانسجام وبين أنه يتعلق بالبنية المحورية للنص وبين التصورات والعلاقات الأساسية في عالم النص⁽⁴⁾.

تعريف روبرت دي بوجراند :

ألف الأمريكي روبرت دي بوجراند الأستاذ بجامعة فلوريدا كتابه المشهور النص والخطاب والإجراء عام (1980) ، والمعايير التي تجب للنص ليكون نصا عند روبرت دي بوجراند :

1-السبك : النظام، الربط

2-الالتحام ، التماسك ، الانسجام : ويشمل العناصر المنطقية كالسببية والعموم

3-القصد : ويشمل موقف المنتج من القضية المطروحة وهدفه من بناء نص متماسك

4-القبول : ويتعلق بالمتلقي و قبوله للنص أو عدم قبوله انطلاقا من صحة القواعد النحوية

5-رعاية الموقف : أي الموقف الذي ولد فيه النص

6-التناسق : وذلك من خلال علاقة النص بالنصوص السابقة تأثرا وتأثيرا

7-الإعلامية: وهي المحتوى الدلالي الذي يريد النص تقديمه

-آليات الانسجام

1-التأويل :

يحتاج القارئ لكي يفهم النص المقروء إلى جهد تأويلي يمكنه من رصد العلاقات الخفية الرابطة بين أجزاء النص، خاصة إذا كان للفظ الواحد مفاهيم قد تتغير ولا يضبط مفهومها حتى يعرف السياق الذي وردت فيه والتأويل كما قال صاحب اللسان (نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ) ولعل هذا هو المفهوم الذي ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني في المعنى ومعنى المعنى، ونمثل لهذا المظهر بقول الشاعر عثمان لوصيف: في قصيدة له بعنوان " الطيب صالح"⁽⁵⁾

4 - سعيد حسن بحيري علم لغة النص ص 132

5 - الفكرة مأخوذة من رسالة ماجستير تقدم بها الطالب يحي شريف عبد الرزاق بعنوان "

الاتساق والانسجام في شعر عثمان لوصيف

آليات تحقق الانسجام النصي

يا عنتره العبسي
هذا موسم الهجرة...قم
قم نهاجر عبر هذا الأزرق الممتد
حتى نهتدي نحو الشمال
نحن أبناء الجنوب الحي
أبناء اللهب
أرضنا تترخر تبرا
و رحيقا ينسكب
و المجاعات...
المجاعات ...
هنا تتخر مثل السوس في أعظمتنا
يا...للعجب

فنداء الشاعر في بداية هذه القطعة يجعلنا نفكر في الذي يعنيه عثمان لوصيف بقوله
عنتره العبسي، غير أن العنوان الذي هو الطيب صالح وبعض كلمات القصيدة كقوله
موسم الهجرة إلى الشمال، وقوله نحن أبناء الجنوب الحي يجعلنا نقول: إن الذي يقصده
الشاعر هو الطيب صالح الشاعر السوداني صاحب موسم الهجرة إلى الشمال.

2- السياق

(إنه يعني الانزلاق من المستوى التحليلي إلى مستوى آخر يتعلق بظروف إنتاج
الخطاب) ، فالمرسل والمتلقي وزمان النص و مكان إنتاجه و الحالة النفسية للمرسل أو
المتلقي كلها عوامل محددة للسياق و في المثال الموالي نتبين دور السياق في تحديد
المعاني الحقيقية للنص ، و إليك النص التالي من الرسالة السابقة الذكر رسالة الاتساق
والانسجام في شعر عثمان لوصيف .

يتهاوى من رصيف لرصيف

ثم يعدو من نزيف لنزيف

ساحبا خفي حنين

طاوي البطن

سليمان بوراس

يصوم الدهر من غير ثواب
حاملا أدوية أو وصفات
لكناريته... تلك العليلة
فإذا ما خيم الليل
كرها إلى كوخ
من القصدير و الألواح
حيث البرد ... والبق
وحيث القطط الكسلى الذليلة

إننا إذا عرفنا السياق الذي ولد فيه النص فهمنا أن الكناري المقصود ليس حيوانا بل هو شيء آخر، وإذا عرفنا أن النص ولد بالجزائر العاصمة يوم 19-12-1996، وعرفنا أن هذا التاريخ يمثل مرحلة المعاناة للشاعر مع زوجته المريضة وأن هذا التاريخ بالضبط كان متواجدا فيه بالعاصمة لمعالجة الزوجة، وهذا يجعلنا نقر أن السياق له دور في فهم النص وفي تبين انسجامه .

3-الفهم المحلي :

يرتبط هذا المفهوم بما ورد قبله إذ أن المتلقي أو السامع يكون في هذا مجبرا على أن لا يوسع فهمه للسياق بل يجب أن يكون فقط وفق الذي يناسب المقام فهو كما يقول محمد خطابي : يعتبر تقييدا للطاقة التأويلية لدى المتلقي، ويكون ذلك حينما يقدم الكاتب حيزا زمانيا أو مكانيا وهنا سوف يتفاعل معه القارئ بمعرفة الحيز غير أن الكاتب يغير هذا الحيز وفق ما يرسمه في نصه أو عن شخصيته أو عن حوادث الموضوع حينذاك يجد القاري نفسه ملزما بالالتزام بالحيز المذكور، ومن ذلك قول الشاعر الفلسطيني سميح القاسم

ياعدو الشمس ..

في الميناء زينات و تلويح بشائر ..

و زغاريد و بهجة

و هتافات وضجة

آليات تحقق الانسجام النصي

و الأناشيد الحماسية وهج في الحناجر

و على الأفق شراع

يتحدى الريح .. و اللج .. ويجتاز المخاطر

إنها عودة يوليسيز

من بحر الضياع ..

عودة الشمس وإنساني المهاجر

و لعينيه وعينه .. يمينا .. لن أساوم ..

و إلى آخر نبض في عروقي

سأقاوم ..

سأقاوم

فالفهم المحلي يحد من طاقتنا التأويلية التي ربما تجعلنا نذهب بعيدا حينما نسمع كلمة يوليسيز، فإذا ضبطنا القوة التأويلية كنا محل بحث عن المقصود ووجدنا أن المقصود هو الشعب الفلسطيني المشرّد المبعد عن وطنه .

4-القياس

يقول براون ويول (يمثل مبدأ القياس إحدى الأدوات الأساسية التي تمكن السامعين والمحللين من تحديد فهمهم داخل السياق ، فهم يفترضون أن كل شيء سيبقى على ما كان عليه ماداموا لم يعطوا إشعارا خاصا بتغير إحدى الخصائص،...فهو يحدد للقارئ أو السامع إطارا مضمونا إلى حد ما لعملية الفهم .

5-العلاقات:

ينظر عادة إلى العلاقات التي تجمع أطراف النص أو تربط بين متوالياته (أو بعضها) دون وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة على أنه علاقات دلالية⁽⁶⁾ مثل علاقات العموم والخصوص، السبب/ المسبب، المجلد/ المفصل، وهي علاقات متواجدة عبر مساحة النص محققة تماسكا دلاليا بين بنياته، كما أنها لها دور الإخبارية من أجل تحقيق درجة معينة من التواصل. "بيد أن النص الشعري قد يوحي بعدم الخضوع لهذه العلاقات، ولكنه

6 -- محمد خطابي: لسانيات النص ص 268

سليمان بوراس

ما دام نصا تحكمه شروط الانتاج والتلقي فإنه لا يتخلى عن هذه العلاقات. (7) لأنها قائمة في بنيته الدلالية التي تربط النص أو أجزائه عبر هذه العلاقات المعنوية.

6- موضوع الخطاب:

ويعرّف الموضوع على أنه: "نواة مضمون النص حيث يسمي مسار الأفكار القائم على موضوع أو عدة موضوعات في نص ما، ويتحقق موضوع النص إما في جزء معين من النص أو نجرده من مضمون النص وذلك بطريق العبارة المفسرة الموجزة المختصرة." (8) إن موضوع الخطاب يعد مركزا أساسيا تدور حوله الأقوال التخاطبية التي تستمد منه عملية الامتداد عبر كامل النص. "ونستطيع أن نحدد مفهوم "الموضوع" عبر حدسنا اللغوي الذي يمكننا من وصف ذلك المبدأ الجامع الذي يجعل من مقطع خطابي ما حديثا عن شيء ما." (9)

ولقد أضاف الدارسون إلى موضوع الخطاب مفهوم التخاطب الذي يقتضي اثنين في العملية التخاطبية وبخاصة في النص الشعري باعتباره خطابا متعدد الأصوات، ويظهر ذلك من خلال حوارية مقطعية داخلية، بحيث يساهم كل مقطع في علاقته بسائر المقاطع في بناء موضوع الخطاب، ولذلك قال مورجان: "أن المواضيع لا توجد في الجمل، بل لدى المتكلمين." (10)

ويطلق لفظ "الحوارية" على البعد التفاعلي للغة، أكان شفويا أو مكتوبا، و"الحوارية التفاعلية تحيل كذلك على التجليات المتنوعة للتبادل الكلامي." فالمشاركون يعبر عنهم بالأسماء أو الضمائر والأحوال والصفات والأماكن والأزمنة.

وقد اقترح الباحثان يول وبروان مفهومين فعالين في تقييد موضوع الخطاب، وفي جعله أكثر ارتباطا بإطاره العام وهما: "قاعدة الوجهة وإطار الموضوع". هذا الأخير الذي يتمثل في الملامح السياقية التي تنعكس على النص بوصفه البناء الشكلي الذي يتمثل فيه القول، وتستمد الخصائص السياقية كتبديل الشفرة والعلاقات القائمة على مبدأ توزيع

7 - المرجع نفسه: ص 269.

8 - كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، ترجمة سعيد حسن بحيري ، ص 72.

9 - بروان ويول: تحليل الخطاب، تر محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، ص 85.

10 - المرجع نفسه: ص 86.

آليات تحقق الانسجام النصي

الأدوار في العملية التواصلية والأدوات الاشارية مثل: "أنا" و "أنت" و "هنا" والآن"- بطبيعة الحال من السياق المادي فهي تقع خارج النص، ومنها ما يستمد من داخل الخطاب نفسه. أما قاعدة الواجهة فهي مبدأ تداولي ينضبط به التخاطب، وهو في معناه اللغوي هو "مقابلة الوجه للوجه". وفيه يعتمد المتخاطبان على مبادئ كالتعاون والتعفف لتخفيف حدة الخطاب التهديدي حتى تسهل عملية التبادل التخاطبي وهو يقابل "مبدأ التأدب عند لاكوف من جهة أخذه بالجانب العملي من التهذيب."⁽²⁾ وعليه فإن العملية التخاطبية تتبني أساسا على السياق الذي يحصر الموضوع في إطار محدد وواضح والجانب التأدبي الذي يجعل من الخطاب يأخذ طابعا تفاعليا بين المشاركين.

7- الحالة المفترضة للعالم :

تكون هذه الظاهرة حينما يستعمل الشاعر أو الكاتب لفظا أو معنى في غير موقعه الأصلي ، فتتدخل هنا معرفتنا القبلية للعوالم بأن تقول إن في هذا شيئا ، وهذا ما يجعلنا ملزمين بالتأويل الذي يحيلنا إلى المقصد الحقيقي بالمذكور ، أو ملزمين بالبحث عن تفسير لهذه الظاهرة الأدبية .

مثلا : أن يكتب قاص أو شاعر نصا أدبيا عن فتاة سنغالية، ويقول واصفا وجهها بأن بشرتها بيضاء وأن شعر أصفر ينساب على كتفيها العريضين، وأن عينيها زرقاوان وأن .. وأن .. بكل مواصفات المرأة الأوروبية، إن هذا القارئ للنص عنده عالم مفترض بصورة أخرى، فالمرأة السنغالية والمرأة الإفريقية عموما بشرتها سمراء أو زنجية ولون العينين مخالف للوصف الوارد، فإذا جاء الكاتب أو الشاعر فبين أن الفتاة نتيجة زواج رجل سنغالي بامرأة ألمانية بطل عجه، وكان عالمه المفترض صحيحا .

8-التغريض

يعتبر العنوان وسيلة قوية للتغريض، ويعرفه بروان ويول: "بأنها نقطة بداية قول ما". فالتغريض في الخطاب يقوم بالبحث في العلاقة التي تربط موضوعه بالعنوان، ذلك أن العنوان وسيلة تعبيرية ممكنة عن الموضوع، كما أنها أداة إبراز لها قوة خاصة. "قلو وجدنا اسم رجل مبرز في عنوان النص توقعنا أن يكون ذلك الشخص محور الحديث

11 - يول وبروان: تحليل الخطاب، ص 161.

سليمان بوراس

(...) وأن العناصر المبرزة لا تمدنا فقط بنقطة الانطلاق نبنى حولها كل ما يمكن في صلب الخطاب، بل إنها تمدنا كذلك بنقطة الانطلاق نحد من إمكانات فهمنا لما يلحق." ويتعلق التغريض بالعنوان وبالجملة الأولى، وكيف أن هذين يبقيان ماشيين في خيط رفيع يؤديان دورا خفيا هو دور الربط بين أجزاء القصيدة أو النص، ففي القصيدة الموالية نشتم رائحة الخضوع والذل، إذ يقول أمل دنقل في ديوانه العهد الآتي في قصيدة بعنوان "صلاة" (12)

أبانا الذي في المباحث نحن رعاياك باق
لك الجبروت . وباق لنا الملكوت . وباق لمن
تحرس الرهبوت
تفردت وحدك باليسر . إن اليمين لفي الخسر
أما اليسار ففي العسر . إلا الذين يماشون
إلا الذين يعيشون يحشون بالصحف المشتراة
العيون .. فيعيشون .. إلا الذين يشون وإلا
الذين يوشون ياقات قمصانهم برباط السكوت
تعاليت . ماذا يهكم ممن يذمك؟ أليوم يومك
يرقى السجين إلى سدة العرش ..
و العرش يصبح سجنا جديدا . وأنت مكانك . قد
يتبدل رسمك و اسمك
لكن جوهرك الفرد
لا يتحول . ألصمت وشمك . و الصمت وسمك .
و الصمت - حيث التفت - يزين و يسمك . الصمت
بين خيوط يديك
المشبكتين المصمغتين يلف
الفراشة والعنكبوت

آليات تحقق الانسجام النصي

أبانا الذي في المباحث . كيف تموت

وأغنية الثورة الأبدية

ليست تموت؟

فإذا أخذنا سطرها الأول تبين لنا فعلا ذلك الذل من خلال قوله : أبانا الذي في المباحث نحن رعاياك، وإذا نظرنا إلى العنوان أيضا وجدنا لمعناه تواجد فيها

9- البنية الكلية:

يهتم التحليل النصي بالبنية الكبرى المتحققة بالفعل وهي "بنية مجردة تقارب بموضوع الخطاب الذي يعتبره فان دايك مفهوما عمليا." ⁽¹⁾ أي أنها كامنة وحاضرة في البنية الموضوعية للنص «وهي تتسم بدرجة من الانسجام والتماسك وهذا التماسك ذو طبيعة دلالية». ⁽²⁾

أما كيفية تحديد البنية الكبرى للنص، فإن الملاحظ أن القراء يختارون من النص عناصر مهمة تتباين باختلاف معارفهم واهتماماتهم وأرائهم، وعليه يمكن أن تتغير البنية الكبرى من شخص إلى آخر باختلاف المرجعية الثقافية والنقدية والمنهجية. أما قواعد الوصول لهذه البنية الكبرى للنصوص فهي كما يشرحها فان دايك تتمثل فيما يلي:

1- "الحذف أو الاختيار. 2- التعميم. 3- التركيب أو البناء.

فالحذف أو الانتقاء: تحذف من متتالية قضايا جميع القضايا التي ليست شروطا لتفسير القضايا اللاحقة في النص.

التعميم: استبدال متتالية قضايا بالقضية التي تنطوي عليها كل واحدة من قضايا المتتالية.

التركيب: استبدال متتالية قضايا بقضية تحيل إجمالا إلى الحدث ذاته الذي يحيل قضايا المتتالية برمتها.

هذه العمليات لا يمكن أن تعمل إلا على أساس معرفتنا للعالم، التي تجعل من إدراكنا الذهني للنص وفق الخلفية الثقافية والمعرفية، ومنه تم تطبيق هذه القواعد.

(1)- محمد خطابي: لسانيات النص، ص 283.

(2)- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 328.

سليمان بوراس

إن البنية الكبرى للنص ترتبط بموضوعه الكلي، إذ تتجلى في ضوئها تلك الكفاءة الجوهرية لمتكلم ما، والتي تسمح له بأن يجيب عن سؤال مثل: عمّ كان الكلام؟ أو: ماذا كان هدف هذا الحوار؟ والذي يحدد إطار البنية الكلية هو المتلقي، لأن مجال التماسك ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضيفه القارئ لا يعتمد فحسب على استرجاع البيانات الدلالية التي يتضمنها هذا النص، بل يقتضي أيضا إدخال عناصر القراءة التي يملكها المتلقي

المراجع المعتمدة

1. بروان ويول : تحليل الخطاب، تر محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود الطبعة الأولى السعودية 1997
2. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، دار توبار للطباعة القاهرة، ط1، 1997م.
3. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، (دط)، 1992م.
4. كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، ترجمة سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار الطبعة الأولى القاهرة مصر 2005
5. محمد حماسة عبد اللطيف ، الإبداع
6. محمد خطابي، لسانيات، النص مدخل إلى انسجام الخطاب، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب 2006.